إزالة الحسود

في

توضيح وحدة الوجود

إعداد

حيدر مشهور فضيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بإيجادنا من العدم ودلنا بمصنوعاته على ما يجب له تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال، أحمده أن شرح صدورنا للإسلام وهدى قلوبنا للإيمان ووفقنا لمعرفته بالدليل والبرهان.

وأشهد أن لا إله إلا الله الغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله المخصوص بالرسالة الكلية العامة والشفاعة المقبولة التامة.

وبعد، فهذه رسالة مختصرة في بيان وشرح مذهب وحدة الوجود لشيخنا الأكبر ابن عربي وسميته بـ " إزالة الحسود في توضيح وحدة الوجود". راجيا من الله جل وعز الانتفاع به وعود البركة من شيخنا الأكبر لي ولكل قارئ وسامع ومطالع. آمين

وحدة الوجود

في اللغة

وحدة الوجود : مذهب يقول إن الله والعالم حقيقة واحدة.[1]

في الاصطلاح الصوفي

الشيخ عبد الغني النابلسي

يقول : القائلين بوحدة الوجود : مرادهم بالوجود الذي صار الوجود به موجودا، لا الوجود الذي هو مفروض مقدر للممكن من جنسه. وعلق الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السويدي قائلا : القديم موجود بوجود هو عين ذاته. والحادث موجود بوجود هو عين ذات القديم. فالقديم ليس عين الحادث ولا الحادث عين القديم، بل كل واحد منهما مباين للآخر في الذات والصفات وإن اجتمعا في الظهور بوجود واحد.[2]

قال البيضاوي : ويبقى وجه ربك أي ذاته ولو استقرت جهات الموجودات وتفحصت عن وجودها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته. -انتهى- وهو الوجود الحق الذي ذكرناه. وقال أيضا في قوله تعالى ((كل شيء هالك إلا وجهه)) أي إلا ذاته فإن كا عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم. انتهى[3]

الشيخ أبو عباس التيجاني

يقول : بيان وحدة الوجود من وجهين :

1. أن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية : من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ، وكذلك اختلاف جوارحه

---

[1] المعجم العربي الأساسي, ص. 1295

[2] الشيخ عبد الرحمن السويدي، كشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة لحل غوامض عبارات السادة الصوفية، ص. 21

[3] عبد الغني النابلسي، الوجود ص. 120

وطبائعه التي ركبت فيها وبها قيام بناتها، فإذا فهمت هذا ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة، لاستلزام تساوي الشريف والوضيع، واجتماع المتنافيين والضدين، إلى آخر ما قالوه، قلنا : لا يلزم ما ذكره هنا، لأنه وإن كان الخواص متباعدة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات الإنسان سواء بسواء.

2. اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقا كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثر لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد فبهذا النظر هو متساو فيلزم اتحاده وإن اختلفت أجزائه.[4]

الشيخ عبد القادر الجزائري

وحدة الوجود : هو معنى كون الحق تعالى معنا بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذي يعرفه علماء الرسوم. وإنه لا وجود إلا وجوده تعالى، ولا صفات إلا صفاته تعالى، والوجود المنسوب إلى المخلوق مجازا وهو وجوده.[5]

الشيخ محمود أبو الشامات اليشرطي

يقول : وحدة الوجود : أن الموجودات بأسرها عدما صرفا ما شمت رائحة الوجود، بل وجودها المشهود لكل إنسان، كوجود الماء الموهوم عند الظمآن حقيقة سراب لا شراب، وعدم لا يصاب.[6]

الشيخ أبو العلا عفيفي

وحدة الوجود التي يقول بها ابن عربي ليست وحدة وجود مادية تنكر الألوهية ولوازمها أو تنكر القيم الروحية، بل العكس هو الصحيح : أي أنها وحدة وجود تنكر العالم الظاهر، ولا نعترف بالوجود الحقيقي إلا الله الحق. أما الخلق فظل للوجود الحق ولا وجود له في ذاته.[7]

---

4 علي حرازم ابن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج.2 ص. 98

5 عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعاظ والإرشاد ج. 1، ص 306

6 محمود أبو الشمات اليشرطي، الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليشرطية، ص 39

7 إبراهيم مدكور، المتاب التذكاري، ص. 16

الشيخ محمد غازي عرابي

يقول : الحركة القديمة قدم الوجود لعملية التشخص والتلاشي هي ما ندعوها بوحدة الوجود الذي يشمله قانون إلهي سرمدي حدد له مسيرته ونظامه.[8]

الشيخ ناصر بن الحسن الكيلاني

مسألة وحدة الوجود فإنهم أنفقوا : أي المحمديون طائفة بالكشف الخاص بهم من الأمم أن الوجود واحد، والكثرة موهومة كالبحر إذا تنفس سمي بخارًا، فإذا تراكم سمي سحابا، فإذا تقاطر سمي مطرًا، فإذا سأل سمي سيلا، فإذا اجنمع ورجع إلى البحر عاد له الاسم الأول.

فمن نظر إلى هذه الأمور غافلا عن البحر حكم بالامتياز وأثبت الكثير ومن نظر إلى البحر وعرف أنها أحكامه حكم بأنها عين البحر لا أمر زائد إلا الشخص وهو أمر عدمي نسبي لا وجود له.

البحر بحر على ما كان من قدم　　　إن الحوادث أمواج وأنهار

لا يحجبنك أشكال تشاكلها　　　عمن تشكل فيها فهي أستار

فإن قيل وحدة الوجود على مذهب الصوفية الوجودية لا كلهم، قلنا : ليس الأمر كما فهمت لأن الأمر ما يتم إلا بهذا القول، وهو مخ التصوف، وملاك أمره بل كلهم على كلمة سواء بينهم.[9]

الشيخ أحمد زيني دحلان

وقد اتفقت مقالات العارفين وإشاراتهم ومواجيدهم على أن ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته، لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى، إذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو متناقض

---

[8] محمد غازي عربي، النصوص في مصطلحات التصوف، ص 244

[9] الشيخ ناصر بن الحسن الكيلاني، مجمع البحرين في شرح الفصين، ص 167

لإخلاص التوحيد. قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)[10]. وقال صلى الله عليه وسلم : ((أصدق كلمة قالها الشاعر : ألا كل شيء ما خلا الله باطل[11]))

قال بعض العارفين : أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى، لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية.

وإنما لم تكن الأكوان موجودة معه لأن الوجود المعي يوهم الاستقلال والمشاركة في الوجود الذاتي.[12]

الحبيب محمد علي باراس الحضرمي

الأحدية : وصف الذات إذا ظهرت وبطنت الصفات والأكوان من حيث هي أصالة معدومة لا وجود لها عند ظهور الذات، لأن الأكوان آثار الصفات وقد علمت اندراج الصفات عند التجلي الذات، فالأكوان الآن معدومة ممحوة.[13]

الشيخ أحمد الدردير

توحيد الذات : أن لا يشهد مع الحق سواه بأن لا يرى العبد الخصوصي سوى ذات واحدة، لا أبسط من وحدتها، قليلة بذاتها، لا تقبل الكثرة بوجه مقومة لتعيناتها وشؤونها التي لا تتناهى، وأن لا ترى تلك التعينات هي العين المعينة لها ولا غيرها، بل تلك التعينات قائمة بقيام الحق تعالى لا بنفسها فهي كالظل الذي لا وجود له إلا بوجود الشخص القائم فالوجود الحق إنما هو للذات الواحد الذي ظهرت آثاره في تعيناته في الفيء أي الظل. وهذه الوحدة بهذه الاعتبار هي المسماة بوحدة الوجود إذ ما سواها شؤون ومظاهر وتعينات لذات الواجب الوجود ، حتى كان وجودها بالنسبة إليه تعالى عدم وهباء فلم يكن في الحقيقة وجود إلا للواحد. وقد أشار أشار أستاذنا السيد مصطفى بكري صاحب (ورد السحر)) بقوله في قصيدة :

---

10 سورة القصص (88)

11 أخرجه البخاري (2841) ومسلم (3/3257).

12 أحمد زيني دحلان، تقريب الأصول لتسهيل الوصول، ص. 441

13 محمد علي باراس، شرح الحكم العطائية، ص. 140

وما الحق في التمثال إلا كثلجة لها صورة لكن تبدت عن الماء

إذا ظهرت شمس الوجود تذيبها فترجعها ماء اتحاد مع الباء

فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء

ومن حجبته صورة الثلج جاهل تغطى عليه الأمر من لمع أضواء[14]

الشيخ أحمد بن عبد الغني عابدين

فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه، فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق مستمر قائم بنفسه.[15]

الشيخ إسماعيل الكلنبوي

وتلخيص هذا المذهب (وحدة الوجود) : أن الموجود إنما يطلق حقيقة على ما قام به الوجود في الذهن إما بأن يكون ذلك الوجود عينه، بأن يكون منتزعا من ذاته كما ذهب إليه الحكماء في الواجب والأشعري في الكل أو غيره بأن يكون منتزعا من وصف زائد على ذاته كما ذهب إليه جمهور المتكلمين في الكل.

فالمترقون عن حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة وهم الصوفية شاهدوا بطريق البداهة لا بطريق النظر الغير الخالي عن الشكوك والشبهات أن ليس الموجود الحقيقي بهذا المعنى إلا الله تعالى، وإطلاق الموجود على الممكنات مجاز بعلاقة المظهرية إذ ليس هناك وجودات متعددة يقوم بعضها بالواجب تعالى، وبعضها بالممكنات بل وجود واحد هو ذات الواجب تعالى، وليس معنى كون الممكنات موجودة أن يقوم بها الوجود، بل معناه انتسابها بنوع تعلق إلى الوجود الحقيقي الذي هو ذات الواجب تعالى القائم بذاته، وحصل ذلك التعلق عند تجليه تعالى عن الأعيان الثابتة التي هي الصور العلمية له تعالى المتخالفة بالاستعداد بمقتضى الأسماء الإلهية المتقابلة كالقابض والباسط والرحيم والقاهر.

---

14 أحمد الدردير، مشكاة الأنوار، ص. 135

15 أحمد بن عبد الغني عابدين، منح ذي الجلال في إصلاح علم الحال، ص. 34

وكيفية التجلي المذكور مجهولة لا يعلمها إلا هو.

فتلك الأعيان الثابتة اللازمة لذات الواجب تعالى المتخالفة بالاستعداد مظاهر تجلي عليها الواجب تعالى. فظهر وجوده تعالى وصفاته فيها على حسب ما يقتضيه استعدادها، فصارت موجودات متخالفة لتخالف الاستعدادت، فالتكثر إنما نشأ من تكثر الاستعدادات، كالمرايا المتعددة التي يتجلى فيه شخص ويرى فيها بصور مختلفة معوجا ومستقيما طويلا وعريضا صغيرا وكبيرا على حسب ما يقتضيه استعدادات المرايا مع عراء ذلك الشخص عن جميع هذه الأوصاف.

فالوجود الحقيقي واحد، ومع ذلك منبسط على جميع الممكنات الموجودة بالظهور فيها عند التجلي. لا باختلاطها والحلول فيها. فما دام ذلك التعلق باقيا يطلق عليه اسم الموجود مجازًا بعلاقة المظهرية.

وإذا انقطع التعلق المذكور لا يطلق عليه اسم الموجود لا حقيقة، ولا مجازًا.

فالممكنات الموجودة عبارة عن الأعيان الثابتة بشرط المظهرية. وعلى كل حال ليس لها وجود قائم بها فلا يطلق عليها الموجود حقيقة فتكون معدومة أزلا وأبدا في الحقيقة. ولذا قالوا : الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود.

والفرق بين هذا المذهب وبين مذهب السوفسطائي بوجهين :

1. أن السوفسطائي ينكر مطلق الوجود سواء كان وجود الواجب أو وجود الممكن. والمتصوفة لا ينكرون وجود الواجب بل يحصرون الوجود فيه.

2. أن المتصوفة إنما ينكرون وجود الممكنات باعتبار قياسه إلى ذواتها. لا باعتبار قياسه إلى الواجب ضرورة أنهم لا يقولون أن ليس هناك شيء موجود، وإنما يقولون إن وجود ذلك الممكن الموجود ليس في نفسه بل هو وجود موجود آخر ظهر فيه. والسوفسطائي ينكره بكل اعتبار.

فاعلم أن هذا المذهب مذهب وراء طور العقل، وهم صرحوا بذلك ، وبأنه لا طريق للوصول إليه إلا الكشف الذي نسبته إلى العقل كنسبة العقل إلى الوهم.

وقد أشار الإمام مالك إلى ذلك حيث جعل العلم الظاهر كمكان وضيع لا يرى منه شيء بعيد عن أطوار العقل، بل لا يرى من أواسط علم الباطن وإنما يرى من ذروته وأعلاه، فقد شبه حال العارفين بحال من يترقى بأنواع تعب إلى رأس جبل شامخ ليرى الشيء البعيد غاية البعد ويميزه كمال التمييز.

وسمي علم الظاهر بالمجاز، فإن أهله يطلقون الموجود على الممكنات مع أن إطلاق الموجود عليها مجاز بعلاقة المظهرية، وإن لم يعرفوا، بخلاف أهل علم الباطن.

فعلى هذا المذهب يكون الهالك بمعنى المعدوم حقيقة لا مجازًا فيه أصلا، ومع ذلك لا يقتضي وقوع العدم الطاريء بانقطاع التعلق الحاصل بالتجلي.

وبهذا يندفع ما قيل : كيف يتصور العدم الطاريء على ما ذهب إليه أرباب علم الحقيقة.

وههنا مذهب آخر في حدود أطوار العقل مختار عند صاحب المقاصد، وهو أن الوجود كثير كالموجود إلا أن السالك إذا انتهى إلى بعض المراتب يضمحل عنده وجود الممكنات بل وجود نفسه.[16]

الإمام فخر الدين الرازي

يقول : ولا موجود إلا الحق سبحانه وتعالى.

فأما لفظ هو، فهو نصيب المقربين السابقين الذين هم أرباب النفوس المطمئنة وذلك لأن لفظ هو إشارة، والإشارة تفيد تعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد، فأما إن حضر هناك شيئان لم تكن الإشارة وحدها كافية في التعيين، والمقربون لا يحضر في عقولهم وأرواحهم موجود آخر سوى الأحد الحق لذاته، لأن واجب الوجود لذاته واحد. وما عداه ممكن لذاته والممكن لذاته معلوم في نفسه ولهذا قال (كل شيء هالك إلا وجهه) فلما كل ما سواه معدوما محضا، ولا موجود إلا الحق سبحانه، لا جرم كانت الإشارة بهو كافية لهم في تعيين المشار إليه، فقوله هو لفظة كافية في كمال المعرفة، ونهايات التجلي للمقربين.[17]

16 إسماعيل الكلنبوي، حواشي الكلنبوي على الجلال، ص. 226-229

17 فخر الدين الرازي، لوامع البينات في أسماء الله تعالى والصفات، ص. 77

الشيخ أحمد الطاهر الحامدي

وحدة الوجود : عبارة عن شهود الله تعالى وحده في الأعيان حتى لا يكون عما سواه إخبار.[18]

الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني

قال العلامة النكري في كتابه ((دستور العلماء)) : معنى وحدة الوجود عند المحققين : أن الوجود الموجود في الخارجي واحد بالشخص، قائم بذاته غير عارض لشيء من الممكنات، ولا حالا فيه ولا محلا له، وعلى هذا لا معنى لوجود الممكن إلا أت له تعلقا ونسبة خاصة مجهولة الكنه بذلك الوجود القائم بذاته، ويعبر عنها بنسبة القيومية والمعية والمبدئية وإشراق نور الوجود، وليست نسبة الحلول والعروض والاتصال والانفصال.

اعلم أن التوحيد على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : توحيد الأفعال : وذلك بأن لا يرى فاعلا حقيقيا إلا الله.

المرتبة الثانية : توحيد الصفات : وذلك بأن لا يرى متصفا بصفات الكمال حقيقة إلا الله.

المرتبة الثالثة : توحيد الذات : وذلك بأن لا يرى وجودا حقيقيا إلا الله تعالى وهذا معنى وحدة الوجود.[19]

إيضاحات وإضافات

قدمت الدكتورة سعاد الحكيم عرضًا موجزًا رائعًا عن مصطلح (وحدة الوجود) عند الصوفية بشكل عام، وعند الشيخ الأكبر ابن عربي بشكل خاص، نذكره هنا لعظم فائدته وموضوعيته بشيء من التصرف والاختصار الذي يناسب مصنفنا هذا.

تقول أستاذة التصوف في الجامعة اللبنانية :

---

[18] أحمد الطاهر الحامدي، الكشف الرباني عن المورد الرباني، ص. 184

[19] محمد بن الهاشمي التلمساني، مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة ص. 56

إن عبارة وحدة الوجود لا تدخل ضمن مصطلحات ابن عربي، إذ أنها من ناحية لم ترد عنده مطلقا، ومن ناحية ثانية هي تشكل تيارًا فكريًا له جذوره البعيدة في تاريخ النظريات الفلسفية، ولكننا لم نستطع أن نتغافل عن بحثها بحجة أنها تدخل ضمن نظريات شيخنا الأكبر بالنظر لأهميتها عنده، إذ فيها تتبلور مصطلحاته وتنكشف، ويتجلى وجه ابن عربي الحقيقي، فنلمس فيه الفكر والمنطق إلى جانب الشهود والتصوف.

إن عبارة وحدة الوجود ابتدعها دارسو ابن عربي، أو بالآحرى صنفوه في زمرة لقائلين بها. إذ أن الباحث لا يلتقط فكر مفكر إلا بتحليله إلى عناصره البسيطة، وإعادة تركيبه تركيبا يتلاءم وينضبط مع التيارات الفكرية المعروفة. وبالتالي استدل الملتمس وجه ابن عربي من جملة أمثال :

(الوجود كله واحد)، (ما ثمة إلا الله)، (ما في الوجود إلا الله)، إلى القول بأنه من وجدة الوجود، وحدة تفارق وحدة الماديين بتغليب الجانب الإلهي فيها.

ولكن ما حقيقة موقف ابن عربي من الوحدة الوجودية ؟ وما نسبة التفكر النظري إلى الشهود الصوفي فيها؟

وحدة وجود أم وحدة شهود؟

كثيرا ما يتوقف الباحث أمام نتائج ابن عربي متسائلا :

أوحدة وجود عنده أم وحدة شهود؟

ثم لا يلبث أن يقرر أنها وحدة وجود من حيث أنها لم تبرز في صيحة وجد بل كانت نتيجة باردة لتفكير نظري. ويعود تردد الباحث بين الوحدتين إلى أنهما يتطابقان في التنيجة فكلتاهما ترى :

إن الوجود الحقيقي واحد وهو الله.

ولكن صاحب وحدة الشهود يقولها في غمرة الحال على حين يدافع عنها ابن عربي في صحو العلماء وبرود النظريين.

والحقيقة وحدة ابن عربي تختلف عن وحدة شهود غيره بسبب جوهري، وهو أن الشيخ الأكبر لم يقطفها ثمرة فيض فناء في الحق، فناء أفناه عن رؤية كل ما سوى الحق فقال بعدم كل ما سواه، كلا.

إن ابن عربي يرى الكثرة، وشهوده يعطى الكثرة، وبصره يقع على الكثرة. إذن الكثرة عنده موجودة.

وهنا نستطيع أن نقول : أن وحدته على النقيض من وحدة الشهود، تعطي : كثرة شهودية. فالنظر يقع على كثرة عنده. وهذا ما لا يمكن أن يطبق على وحدة الشهود.

ولكن ابن عربي لا يقف مع الكثرة الشهودية أو -بتعبير أدق- المشهودة، بل يجعلها (كثرة معقولة) لا وجود حقيقي لها. وهي -إذا أمكن التعبير بلغتنا- خداع بصر. وبلغة ابن عربي خيال.

هذا، ويستحسن أن لا نفهم موقف ابن عربي على أنه نظرية فلسفية، قامت على دعائم منطقية ومقدمات فكرية، فهو وإن كان جعل الكثرة : معقولة مشهودة وغير موجودة. فهذا الارجاع ليس تعملا فكريا، كما يظن البعض.

ونقول ردا على من جعل وحدة ابن عربي الوجودية نظرية فلسفية تقررت باستدلال نظري، أن الواقع عكس ذلك، لأن النظر الفكري كما يقول شيخنا الأكبر يعطي : وجود مخلوقات، التي من شأنها أن تكثر الوجود فعلى الأقل تحدده بثنائية كلاسيكية : حق خلق.

وإن الذي يعطي الوحدة الوجودية هو الشهود.

وهنا نلاحظ أن ابن عربي قد باين وحدة الشهود بإثباته الكثرة المشهودة المرئية، ومن ناحية ثانية وصل بالشهود إلى تقرير : الوحدة الوجودية.

وكان الشهود الأول رؤية عادية على حين أن الشهود الثاني هو مرتبة من مراتب الكشف الصوفي.

ونستطيع أن نلخص موقفه قائلين : إنه شهود لوحدة الوجود.

ويستشف من هذه العبارة أن الشيخ الأكبر زاوج بين الفكر والتصوف في ذاته، فاتحدا بحيث يشرف كل منهما على الآخر، وليس هذا غريبا على القائل بعلم اليقين وعين اليقين. فهو وإن كان توصل إلى الوحدة الوجودية بعلم اليقين ، غير أن دعائمها لم تترسخ إلا في عين اليقين.

ونوضح كلامنا بأن نقول : إن وحدة الوجود عند ابن عربي إن كانت ثمرة فكر نظري، أرجع الكثرة المشهودة إلى حقيقتها الواحدة. فهي في اللحظة الثانية شهود لهذا النظر الفكري. ولكن تألف الفكر مع الشهود فدعم كل منهما الآخر، حتى صعب التفريق بين حدود كل منهما. وإن كنا نظن بأسبقية الفكر على الشهود، أسبقية يتطلبها منطقه في تقديم علم اليقين على عينه. ولكن علم اليقين هذا ليس ثمرة التفكر الفلسفي الحرن فالواقع أن ابن عربي مفكر مقيد بالكتاب والسنة، ولا يمكن أن يقال عنه -مفكر حر-. فعلم اليقين عنده : هو ثمرة التفكرفي الكتاب والسنة ، فتكون وحدة الوجود عنده ثمرة تفكره في الكتاب والسنة، ثم شهوده لهذا التفكر[20].

صورة وحدة الوجود

حاول كل من خاض غمار فكر الشيخ الأكبر أن يظهر غموض الكثرة الوجودية، فقال بعضهم : إن مفتاح هذا الغموض في تفسير (سورة الانشراح) للقاشاني إذ تتكرر في هذه السورة الآية (إن مع العسر يسرا) مرتين على التوالي.

ويشرح المفسرون بلسان الظاهر هذا التكرار على أنه : توكيد وتأكيد غير أن القاشاني يشير بوضوح إلى تعلق هاتين الآيتين بمرحلتين من مراحل التحقق الروحي للنبي صلى الله عليه وسلم : الصعود والنزول. وهما للولي، إذ لا يصل إلى مقام الوارث الكامل للنبي صلى الله عليه وسلم إلا بتحقيقه بهما. وهذه حالة ابن عربي.

في مرحلة التحقق الصاعدة، يكون النبي صلى الله عليه وسلم محجوبا بمعرفة الكثرة، وهذا أول احتجاب وأول عسر. وعندما يصل إلى معرفة الواحد، يكون بالنسبة له أول يسر. وهنا معرفة الله تحجب عنه

---

20 أحمد الحسني، موسوعة الكسنزان، ج 21، ص 198-200.

معرفة الكثرة، وهذا ثاني احتجاب وثاني عسر ، إذ هو هنا محجوب بالحق عن الخلق. ولا يستطيع أن يحتمل عبء النبوة. فيشرح الله صدره، ويزيل الاحتجاب الثاني بالحق عن الخلق. أي العسر الثانين ويحصل ثاني يسر ويستطيع كونه أن يجمع : الواحد والكثير، ويسع صدره : الحق والخلق، ببعد يسميه القاشاني : الوجود الموهوب الحقاني.

ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم هنا كاملة : معرفة الكثير بمعزل عن الواحد، ومعرفة الواحد بمعزل عن الكثير، ومعرفة جامعة للواحد والكثير. وهذه المعرفة الجامعة هي معرفة الوارث الكامل أو الإنسان الكامل، وهنا يمكن تفسير وحدة الوجود ابن عربي، كما تتجلى في فصوص الحكم وغيره من كتبه.

أما النابلسي فيرى أن مفتاح وحدة الوجود يمكن في مفهوم : الوجود الحقيقي. فالممكن لا وجود له مستقل عن الحق إذن يحاول النابلسي أن يحل معضلة وحدة الوجود على مستوى مفهوم الوجود، بتحديده بالحق دون الخلق.

ويتضح موقف النابلسي إذا أعطينا الاسم الإلهي القيوم مثلا. فالحق هو : القيوم في صورة الخلق. والممكنات : لا تقوم بذاتها. بل تقوم بالقيوم إذن الوجود واحد هو الحقيقي الذي تتقوم به الممكنات.

والواقع أن وحدة الوجود هذا إذا كان التعبير ينطبق على وحدة ابن عربي هي ثمرة من ثمار التوحيد عند شيخنا الأكبر. فالتوحيد أعم مفهوم في الفكر الإسلامي من حيث أنه ركيزة العقيدة، بل هو العقيدة ذاتها. ولذلك باشره كل فرد من أفراد المسلمين على قدر طاقته واستعداده. وابن عربي بالذات لابد أنه مر بأكثر من توحيد أو بالأحرى بأكثر من صيغة ومفهوم للتوحيد، في تاريخ حياته السلوكية الفكرية. لذلك لا نستطيع أن نقول عن توحيد شيخنا الأكبر أنه فكري نظري فلسفي، ومن ثم ثبحثه على صيغة الفكر والنظريات.

وكما أنه لم يغرق –ابن عربي– في غيبة الشهود ويتكلم تحت وطأة الوجد، فتقول : أن توحيده، توحيد الفانين. كلا : لقد كان توحيده توحيد المشاهد الصاحي. ومن هنا نشأ الخلاف بين دارسيه. فجعل البعض نتائجه نظرية فلسفية، والبعض الآخر جعلها ثمرة سلوك. والأجدى أن نعترف بتكامل الشيخ الأكبر تكاملا يضم في حناياه الفناء والبقاء فلا نغلب حالا على حال.

فالتوحيد، ونظرة ابن عربي إليه وفهمه له، هما مفتاح وحدة الوجود عنده. إذ لو استقل الممكن بالوجود لو للحظة لاستغنى في هذه اللحظة عن الخالق أي الحق. وشاركه من حيث الغنى بالألوهية. إذن توحيد الألوهية يقتضي عند ابن عربي توحيد الوجود.

ونتلخص وحدة وجود الشيخ الأكبر في نقاط متعددة نشير إلى أهمها :

1. الممكن

إن الممكن قد يطلق عليه ابن عربي اسم الموجود ولكن لا ينعته أبدًا بالوجود، بل يجعله ثابتًا في العدم. وكما يقول : الممكن لم يشم رائحة الوجود.

إذن وحدته الوجودية ليست قائمة على رؤية الوحدة في كثرة المظاهر بل على نفي وجود الكثرة، فالكثرة المشهودة معقولة غير موجودة.

2. الحق

إن الحق هو الظاهر في كل صورة المتجلي في كل وجه. وهو الوجود الواحد والأشياء موجودة به. معدومة بنفسها. ولكن لا ينحصر وجود الحق ويتحدد بظهوره في المظاهر، بل له وجود متعال خاص به. وبهذا الوجود المتعال للحق يفارق ابن عربي عن وحدة الوجود الملحدة. فالحق عند ابن عربي مطلق ليس بالإطلاق الإضافي المقابل للتقييد ولكن بالإطلاق الحقيقي.

3. الخلق

لم يحدث فعل الخلق في زمن معين يوجد المخلوقات. بل هو فعل مستمر دائم مع الأنفاس وهو تجلي الحق الدائم في صور المخلوقات، فالمخلوقات في افتقار دائم للحق، إذ أن لها العدم من ذاتها ففي كل نفس ترجع إلى عدمها الأصيل وفي كل نفس يوجد الحق بظهوره فيها وهكذا.

4. الحق والخلق

ويظهر غنى شيخنا الأكبر في الصور التمثيلية المتعددة التي حاول بها أن يقرب إلى الأذهان علاقة الحق بالخلق في مذهب يلغى وجود أحدهما على شهوده.

الدلائل على وجدة الوجود

الدلائل على وحدة الوجود كثيرة عقلا ونقلا. أما الدلائل العقلية فقد مر بعضها. وأما النقلية فاستمدادها من الكتاب والسنة وإجماع أهل الله. أما التي في القرآن فكثيرة منها قوله تعالى ((ولله المشرق والمغرب[21])) وقوله تعالى ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى[22])) وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : ((أصدق كلمة قالتها العرب ألا كل ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائد[23]))

في أقسام القائلين بوحدة الوجود

أعلم أن القائلين بوحدة الوجود منحصر بالاستقراء في ثلاثة أقسام :

فمنهم : من يعلم أن الحق سبحانه وتعالى حقيقة جميع الموجودات وباطنها علما وتيقنا لا ذوقيا وشهوديا وعلم اليقين : وهو ما أعطاه الدليل للنظر فيه، ولكنه مع هذا العلم اليقيني لا يشاهد الحق سبحانه وتعالى في الخلق لاقتصاره على مجرد الدليل ولم ينكشف له الغطاء فهو معدود من عامة أهل الطريق وهو مقام الفرق.

ومنهم من يشاهد الحق تعالى في الخلق إلا أنه يكون شهودا حاليا ذوقيا بالقلب والبصيرة، فشهوده هذا يقال له : عين اليقين وهذه المرتبة الثانية أولى من الأولى، لكونها ناشئة عن كشف وشهود.

---

21 البقرة : 115

22 الأنفال : 17

23 صحيح ابن حبان : 1345

ومنهم : من يشاهده الله في الخلق ويشاهد أيضا الخلق في الحق بحيث لا يكون أحدهما أي الشهودين مانعا وحاجبا عن الآخر بل يشاهد الشهودين معا فهذه المرتبة الآخرة مرتبة الكمال، لأن شهود الثالثة شهود الحق في الخلق من غير عكس وهي مقام الأنبياء عليهم السلام ومقام الأقطاب[24].

براءة وحدة الوجود من فكرة الحلول والتناسخ

التناسخ : عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد[25].

الحلول : قيام موجود بموجود على سبيل التبعية بحيث لا يتعين الحال إلا بتوسط تعيين محله[26].

يقول بعض الفقهاء : إن هذه الفكرة حلولية وتناسخية، ولكن وحدة الوجود بريئة من الحلول والتناسخ اللذين كل منهما تفاوت وانتقال. في حال أن وحدة الوجود إشعاع وتجل وانعكاس. فالمنشأ القدسي والنوراني لا يزال يتشعشع، والكائنة الحية وغير الحية تقتبس نور الحياة وحفظ التركيب على حسب استعداداتها من ذلك المركز المشع الفعال الأقدس السرمدي بوحدة في الوجود واقتران في الشؤون والتعيينات.

فالوجود الحقيقي هو مركز الإذاعة، إذاعة الحياة والشعور في حال أن جميع الوحدات الآخذة من الكائنات لا تزال تستمد الإشعاع والإذاعة من المركز مع وحدة الروح والإشعاع ولوازمهافي الآخذ والمأخوذ منه. وبعبارة أخرى : أن الوجود كالشمس، المنبع الأصلي للنور والإشعاع وإننا كالذبابات الإشعاعية المنبعثة من الشمس.[27]

هل وحدة الوجود تخالف عقيدة أئمة الإسلام

---

24 عبد الرحمن السويدي، كشف الحجب المسبلة، ص. 68

25 معجم مصطلحات الصوفية، 223

26 المصدر السابق، 310

27 سميح عاطف الزين، الطرق الصوفية، ص. 138

اعلم أنه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف ما عليه أئمة الإسلام، بل المراد بذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام، وما هو معلوم من الدين بالضرورة ، من غير إنكار أصل من مؤمن ولا كافر، ولا يتصور فيه إنكار عند العقلاء من الأنام.

إن جميع العوالم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها. محفوظ عليها الوجود في كل لمحة بوجود الله تعالى لا بنفسها وإذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لمحة هو وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجود الله تعالى.

فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلي وأما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجوده تعالى. فوجود الله تعالى وجودها الذي هي موجودة به وجود واحد، وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلا.

وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد ما به ذواتها وصورها ثابتة في أعيانها وما ذلك إلا وجود الله تعالى بإجماع العقلاء، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في نفسها مع قطع النظر عن إيجاد الله تعالى لها بوجوده سبحانه فلا وجود لأعيانها أصلا[28]

[28] عبد الغني النابلسي، إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، ص. 18

الفهارس

المصادر والمراجع

لجنة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، طبعة للاروس

الشيخ عبد الرحمن السويدي، كشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة لحل غوامض عبارات السادة الصوفية، كتاب ناشرون

عبد الغني النابلسي، الوجود، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية

علي حرازم ابن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، دار الكتب العلمية

عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعاظ والإرشاد، دار اليقظة العربية، دار الكتب العلمية

محمود أبو الشمات اليشرطي، الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليشرطية، دار الكتب العلمية

إبراهيم مدكور، الكتاب التذكاري، دار الكتاب العربي

محمد غازي عربي، النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة

الشيخ ناصر بن الحسن الكيلاني، مجمع البحرين في شرح الفصين، الأفق العربية

أحمد زيني دحلان، تقريب الأصول لتسهيل الوصول، دار المنهاج جدة

محمد علي باراس، شرح الحكم العطائية، دار الحاوي

أحمد الدردير، مشكاة الأنوار، دار الإحسان بالقاهرة

أحمد بن عبد الغني عابدين، منح ذي الجلال في إصلاح علم الحال، دار البشائر

إسماعيل الكلنبوي، حواشي الكلنبوي على الجلال، دار الكتب العلمية

فخر الدين الرازي، لوامع البينات في أسماء الله تعالى والصفات، مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة

أحمد الطاهر الحامدي، الكشف الرباني عن المورد الرباني، كشيدة للنشر والتوزيع

محمد بن الهاشمي التلمساني، مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة، دار الإحسان يالقاهرة

أحمد الحسني، موسوعة الكسنزان، دار المحبة ودار آية بيروت

مجمع البحوث الإسلامية، معجم مصطلحات الصوفية، إيران

عبد الغني النابلسي، إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، دار الآفاق القدسية